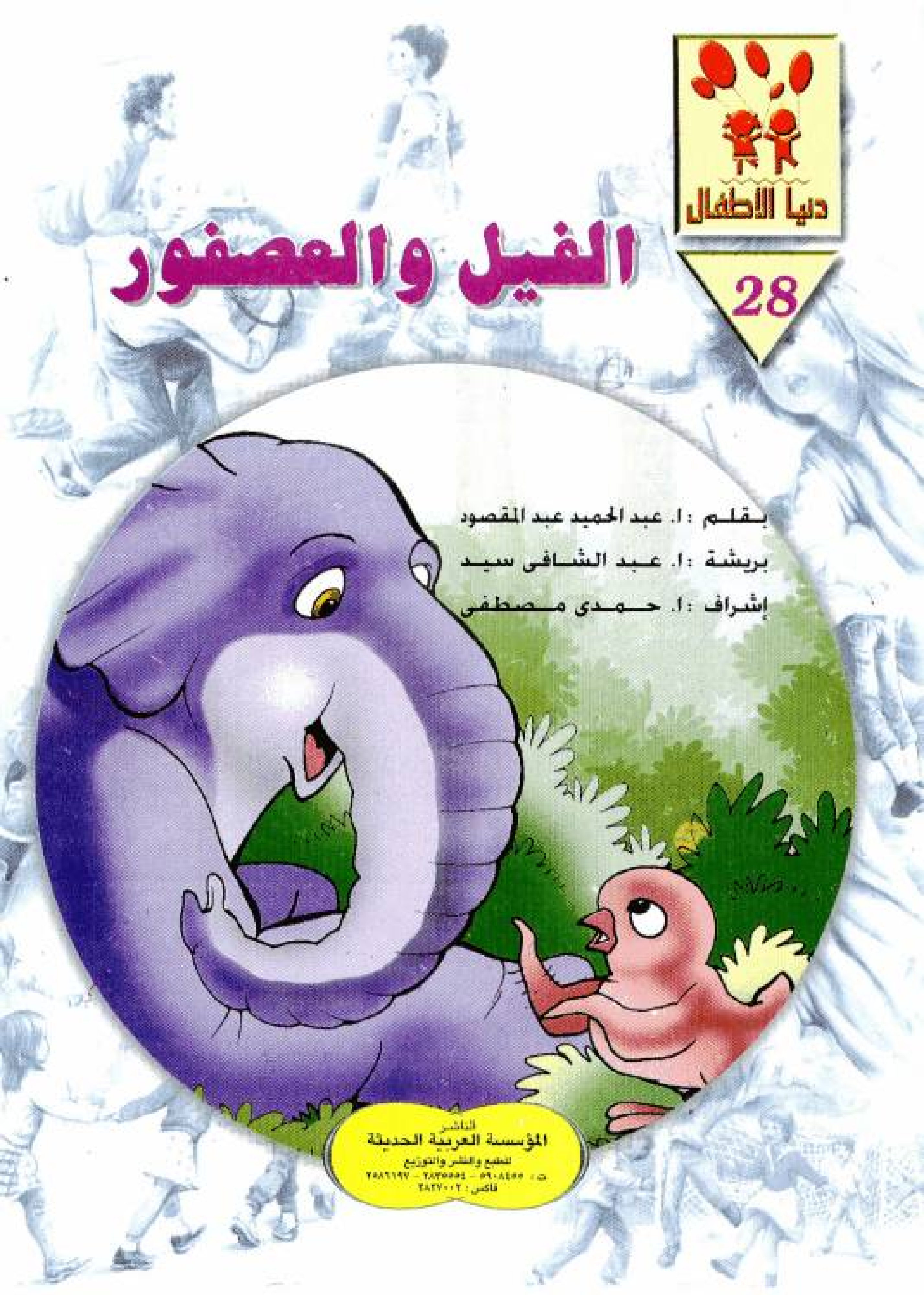
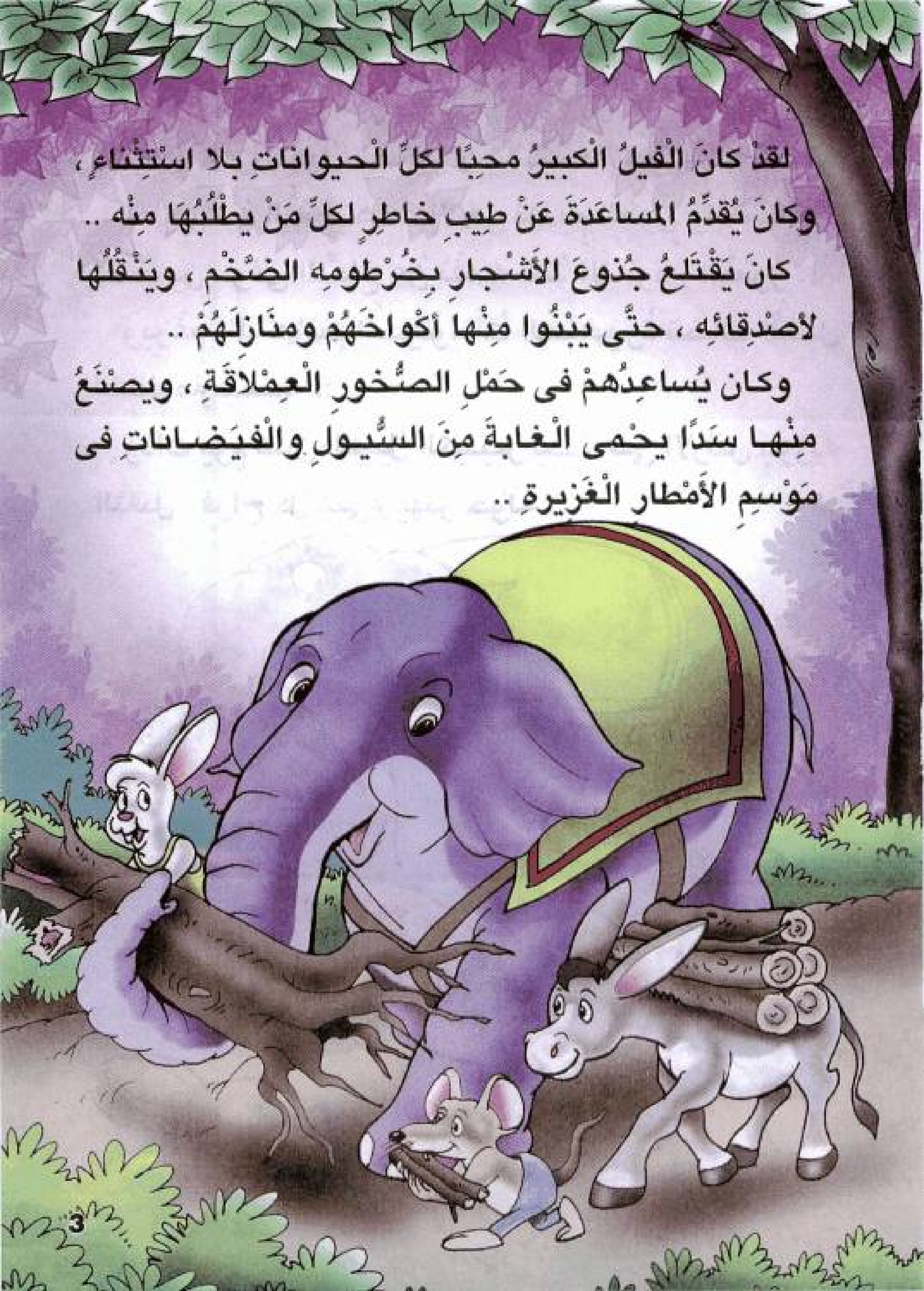
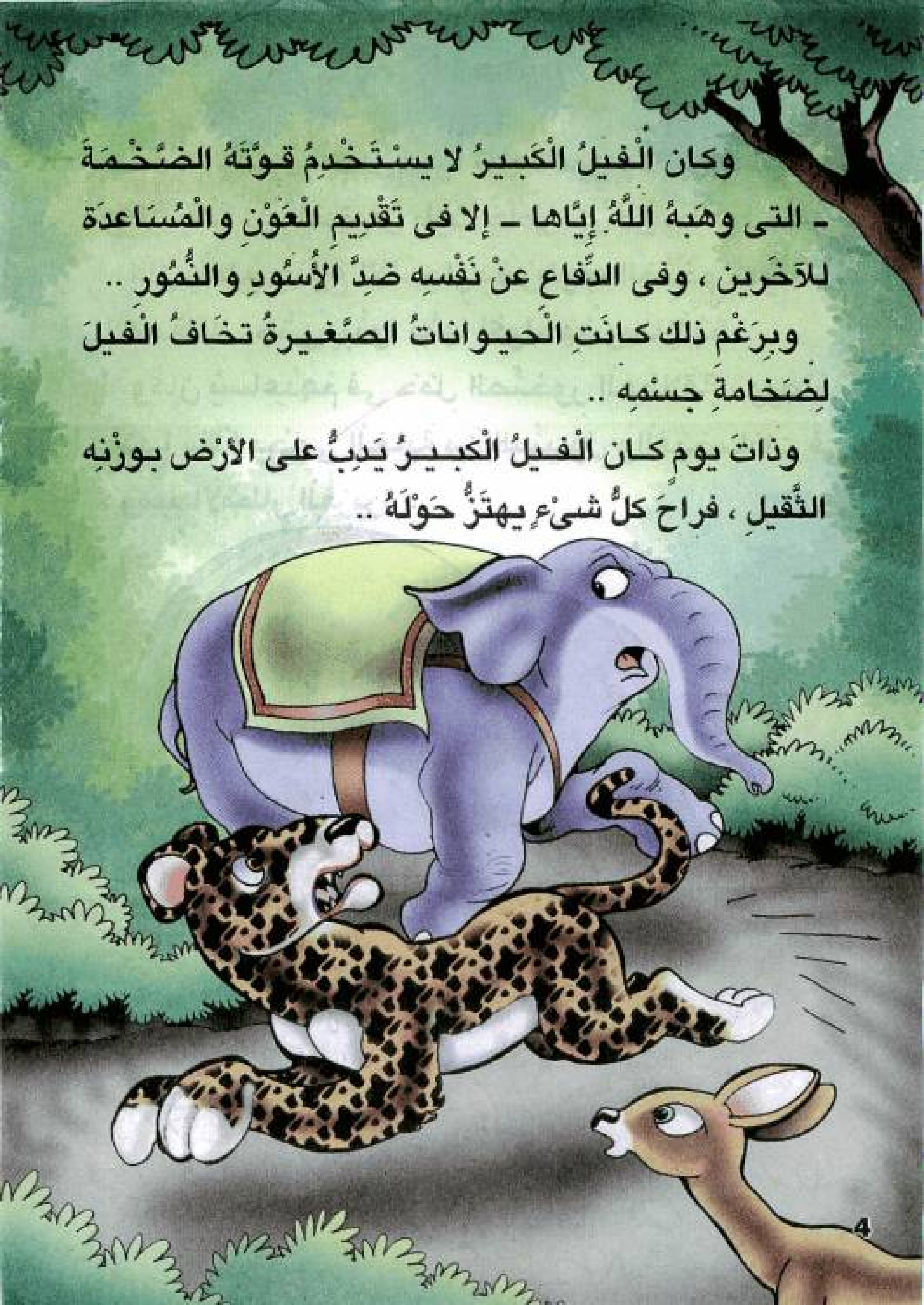

دنيا الأطفال
28
الفيل والعصفور
بقلم : أ. عبد الحميد عبد المقصود
بريشة : أ. عبد الشافى سيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢

كانَ الْفيلُ الْكبيرُ يدُبُّ على الأَرْض بِوَزْنِه الثَّقيلِ ، فَتَهْتزُّ الأَرضُ تحْتَ أقْدامِه ، وتَجْرى الْحيوانَاتُ الصَّغيرَةُ مُبْتَعِدَةً لِتُوسعَ له الطَّريقَ ، حتى لا يسْحَقَها ذَلِكَ الضَخْمُ ..

وبرَغْم ذلك كان الْفيلُ الكبيرُ حَيَوانًا طيِّبَ الْقَلْبِ ، رَقيقَ الْمَشَاعِرِ ، ولمْ يكُنْ يسْمَحُ لِنفْسِهِ بأنْ يُسَبِّبَ أىَّ أذًى لأىِّ حيَوانٍ مَهْمَا صغُرَ حَجْمُهُ ، حتى ولوْ كان فَأْرًا صَغيرًا ..

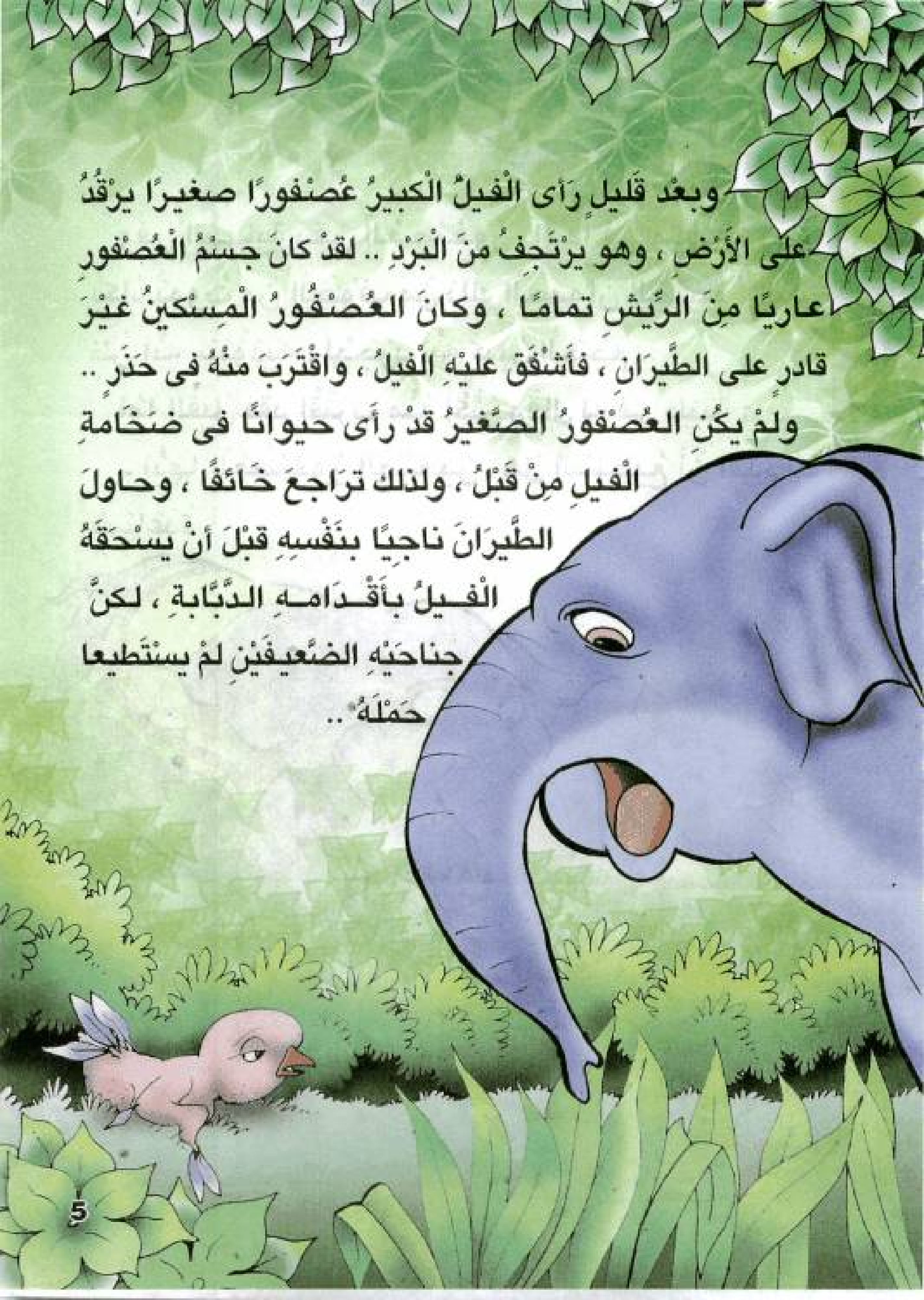

لقدْ كانَ الْفيلُ الْكبيرُ محبًا لكلِّ الْحيواناتِ بلا اسْتثْناءٍ،
وكانَ يُقدمُ المساعدَةَ عَنْ طيبِ خاطرٍ لكلِّ مَنْ يطْلُبُهَا منْه ..
كانَ يَقْتلعُ جُذوعَ الأَشْجارِ بِخُرْطومِه الضَّخْمِ ، ويَنْقُلُها
لأصْدقائه ، حتَّى يبْنُوا منْها أكْواخَهُمْ ومنَازلَهُمْ ..
وكان يُساعدُهمْ فى حَمْلِ الصُّخورِ الْعمْلاقَةِ ، ويصْنَعُ
منْها سَدًا يحْمى الْغابَةَ مِنَ السُّيولِ والْفيَضاناتِ فى
موْسمِ الأَمْطارِ الْغزيرةِ ..



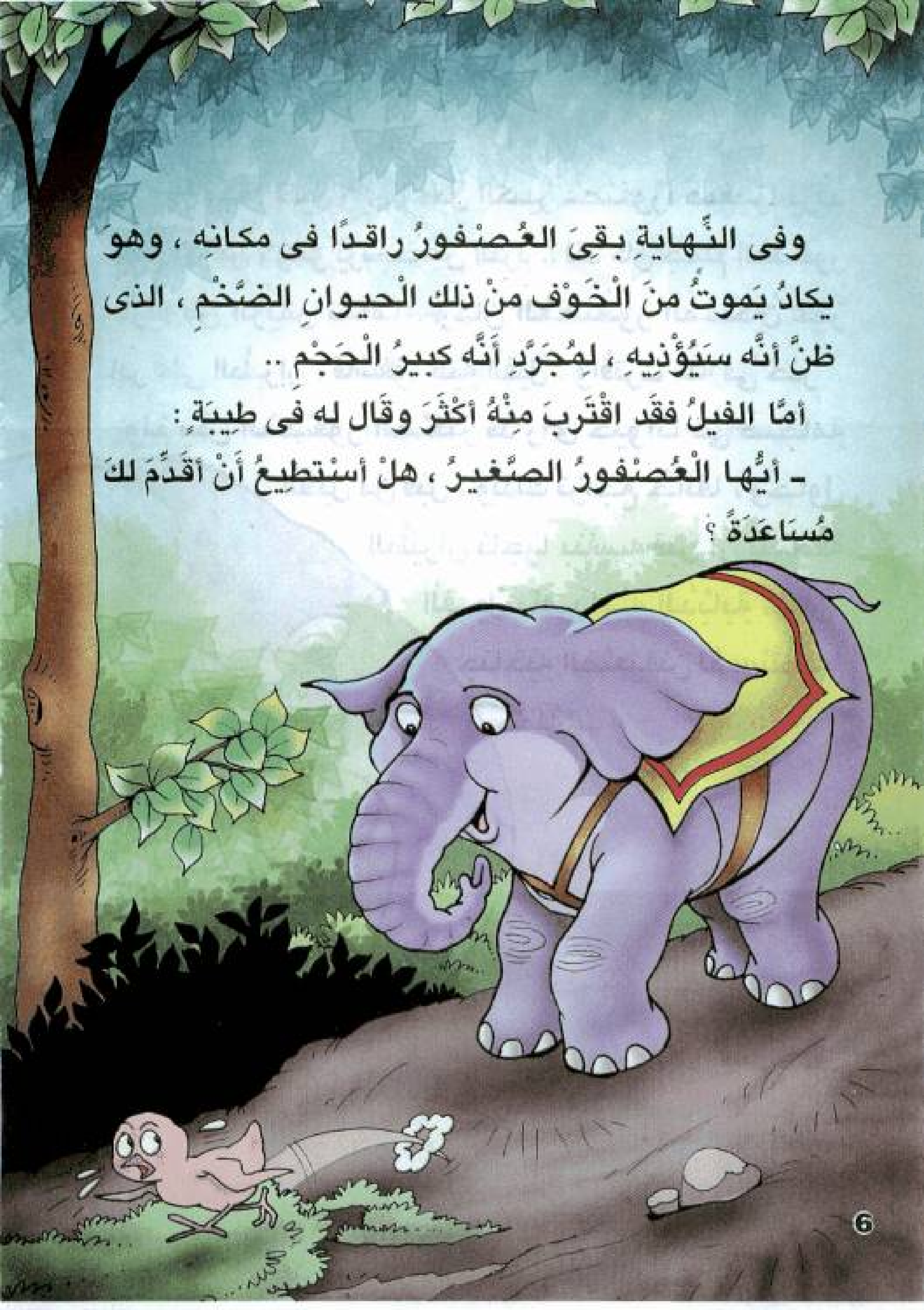
وكان الْفيلُ الْكَبيرُ لا يسْتَخْدِمُ قوَّتَهُ الضَّخْمَةَ ـ التى وهَبهُ اللَّهُ إيَّاها ـ إلا فى تَقْدِيمِ الْعَوْنِ والْمُسَاعدَة للآخَرين ، وفى الدِّفاعِ عنْ نَفْسِه ضِدَّ الأُسُودِ والنُّمُور ..

وبِرَغْمِ ذلك كانَتِ الْحيواناتُ الصَّغيرةُ تخَافُ الْفيلَ لِضَخامةِ جسْمِه ..

وذاتَ يومٍ كان الْفيلُ الْكبيرُ يَدِبُّ على الأرْض بوزْنِه الثَّقيلِ ، فراحَ كلُّ شىْءٍ يهتَزُّ حَوْلَهُ ..



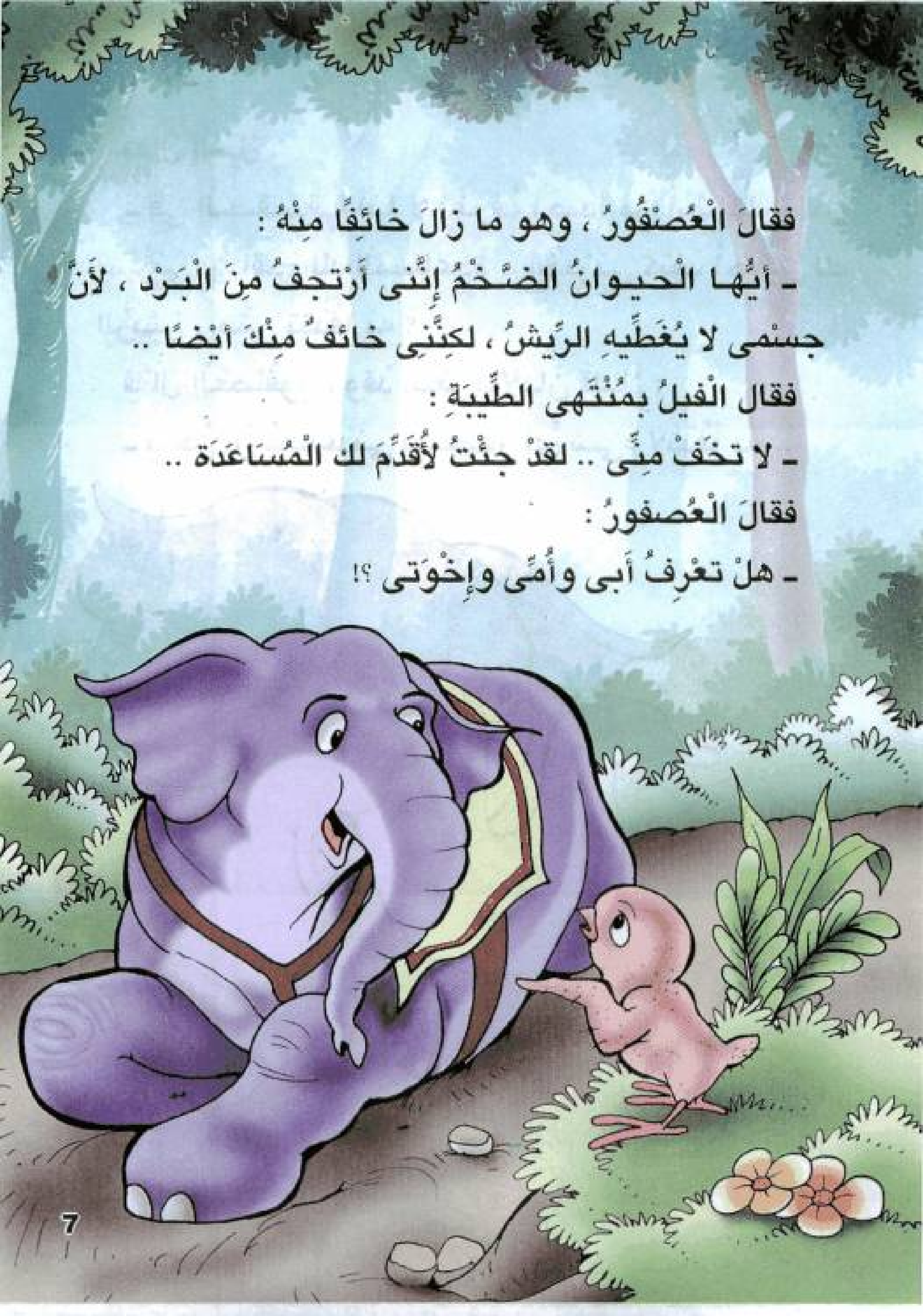
وبعْدَ قَليلٍ رَأى الْفيلُ الْكبيرُ عُصْفورًا صغيرًا يرْقُدُ على الأَرْضِ ، وهو يرْتَجِفُ منَ الْبَرْدِ .. لقدْ كانَ جسْمُ الْعُصْفورِ عاريًا مِنَ الرِّيشِ تمامًا ، وكانَ الْعُصْفُورُ الْمِسْكينُ غيْرَ قادرٍ على الطَّيرَانِ ، فأَشْفَقَ عليْهِ الْفيلُ ، واقْتَربَ منْهُ فى حَذَرٍ .. ولمْ يكُنِ الْعُصْفورُ الصَّغيرُ قدْ رأَى حيوانًا فى ضَخَامةِ الْفيلِ مِنْ قَبْلُ ، ولذلك تراجعَ خَائفًا ، وحاولَ الطَّيرَانَ ناجِيًا بنَفْسِهِ قبْلَ أنْ يسْحَقَهُ الْفيلُ بأَقْدامِهِ الدَّبَّابةِ ، لكنَّ جناحَيْهِ الضَّعيفَيْنِ لمْ يستَطيعا حَمْلَهُ ..



وفى النِّهايةِ بقِىَ العُصْفورُ راقدًا فى مكانِه ، وهوَ يكادُ يَموتُ منَ الْخَوْف منْ ذلك الْحيوانِ الضَّخْمِ ، الذى ظنَّ أنَّه سيُؤْذِيه ، لِمُجَرَّدِ أَنَّه كبيرُ الْحَجْمِ ..

أمَّا الفيلُ فقَد اقْتَربَ مِنْهُ أكْثَرَ وقَال له فى طِيبَةٍ :

- أيُّها الْعُصْفورُ الصَّغيرُ ، هلْ أستَطِيعُ أَنْ أقَدِّمَ لكَ مُسَاعَدَةً ؟



فقالَ الْعُصْفُورُ ، وهو ما زالَ خائِفًا مِنْهُ :

ـ أيُّها الْحيوانُ الضَّخْمُ إنَّنى أَرْتجفُ مِنَ الْبَرْد ، لأنَّ جسْمى لا يُغَطِّيهِ الرِّيشُ ، لكِنَّنِى خائفٌ مِنْكَ أيْضًا ..

فقال الْفيلُ بمُنْتَهى الطِّيبَةِ :

ـ لا تخَفْ مِنِّى .. لقدْ جئْتُ لأُقَدِّمَ لك الْمُسَاعَدَة ..

فقالَ الْعُصفورُ :

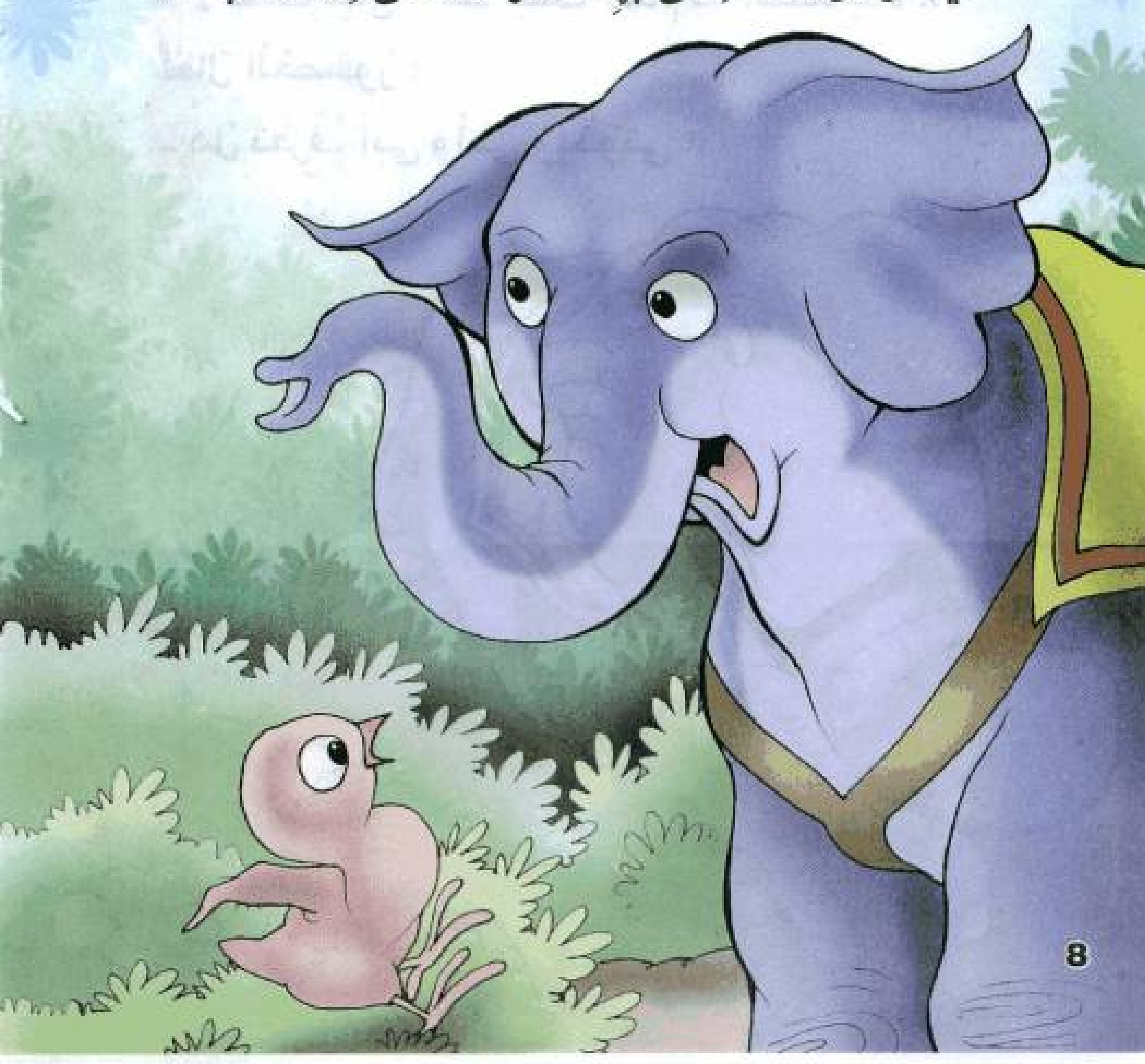
ـ هلْ تعْرِفُ أَبى وأُمِّى وإِخْوَتى ؟!

فقالَ الْفيلُ :

ـ فى الْحقيقةِ أنا لا أعْرفُ أحدًا مِنْ أُسْرتِكَ ، لكنْ يَسرُّنى أنْ أُقدِّمَ لك الْمُسَاعدةَ .. أخْبِرْنى كيْفَ أُحْضِرُ لك الرِّيشَ ، حتَّى تتدفَّأَ به ؟

فقالَ الْعُصْفُورُ ، وقدْ شعَرَ بالأَمانِ قَليلاً :

ـ يُمكنُ أَنْ تُساعِدَنى بإِحْضار أىِّ شىْءٍ لأَتَدَفَّأَ به ..

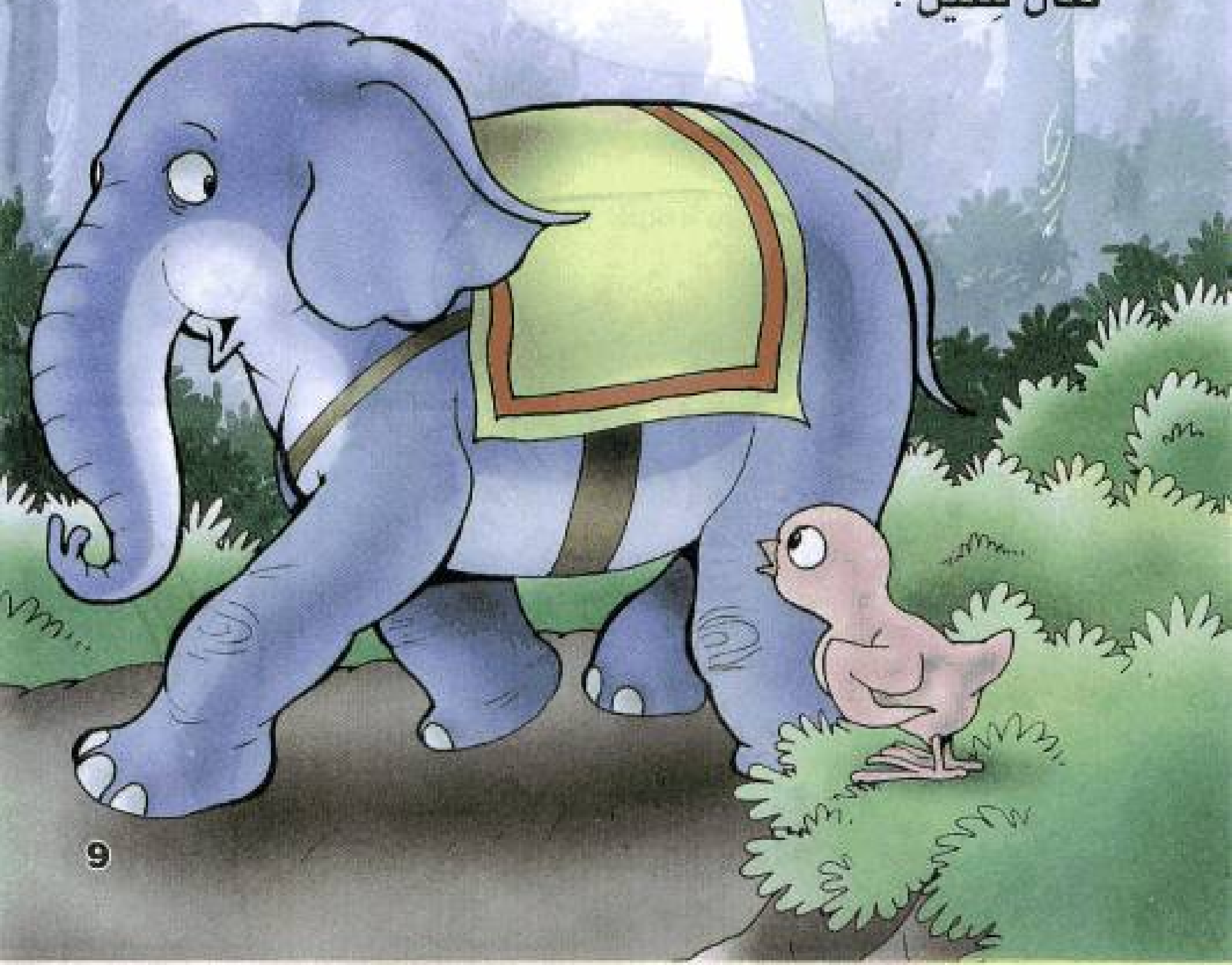


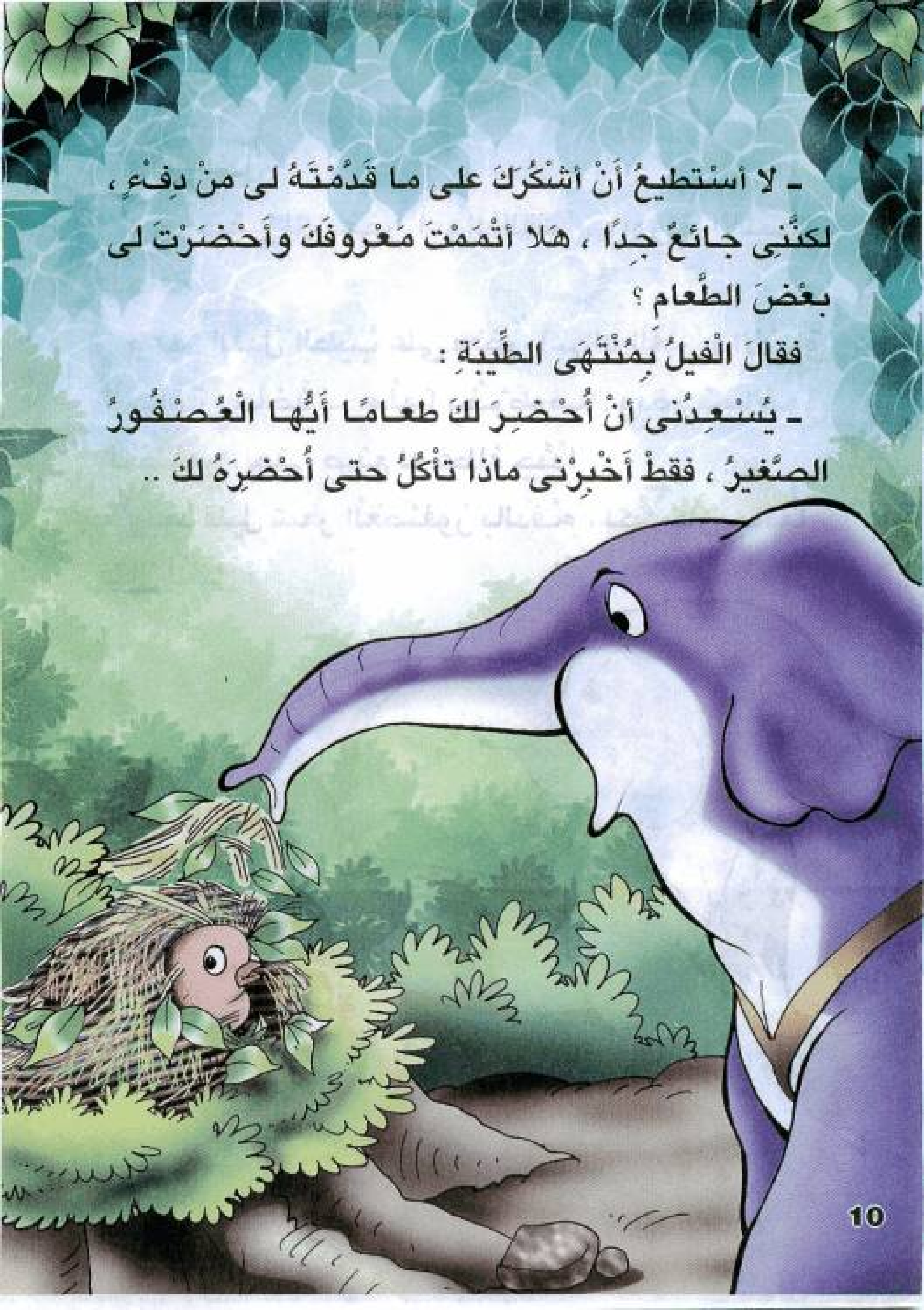
فقالَ الْفيلُ :

ـ سأُحْضِرُ لك بعْضَ أَعْوادِ الْقَشِّ ، وأَوْراقِ الأَشْجارِ الجَافَّةِ ..

وعَثَرَ الْفيلُ الطيِّبُ على بعْضِ أعْوادِ الْقَشِّ والأوْراقِ الْجافَّةِ ، فأخذَ يحمِلُها بِخُرْطومِه ، ويضعُها فوْقَ الْعُصْفورِ ، حتى صنعَ له غِطاءً جيِّدًا ..

وبعْدَ قليلٍ شعَرَ الْعُصْفورُ بالدِّفْءِ ، لكنَّه كانَ جائِعًا ، فقالَ لِلْفيل :

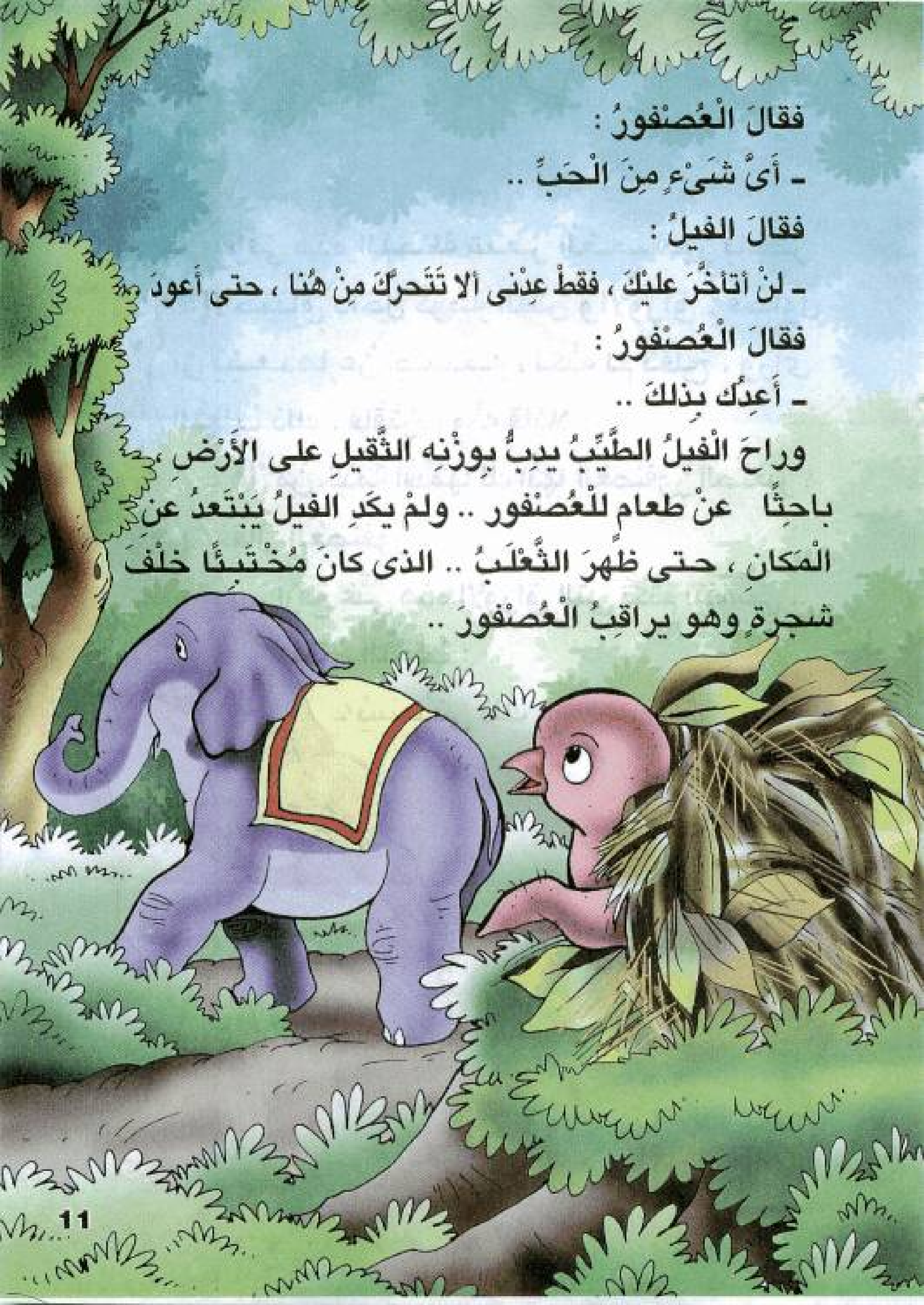




ـ لا أستطيعُ أَنْ أشكُرَكَ على ما قَدَّمْتَهُ لى منْ دِفْءٍ ، لكنَّنِى جائعٌ جِدًا ، هَلا أتْمَمْتَ مَعْروفكَ وأَحْضَرْتَ لى بعْضَ الطَّعامِ ؟

فقالَ الْفيلُ بِمُنْتَهى الطَّيبَةِ :

ـ يُسْعِدُنى أنْ أُحْضِرَ لكَ طعامًا أَيُّها الْعُصْفُورُ الصَّغيرُ ، فقطْ أَخْبِرْنى ماذا تأْكُلُ حتى أُحْضِرَهُ لكَ ..



فقالَ الْعُصْفورُ :

ـ أىُّ شَىْءٍ مِنَ الْحَبِّ ..

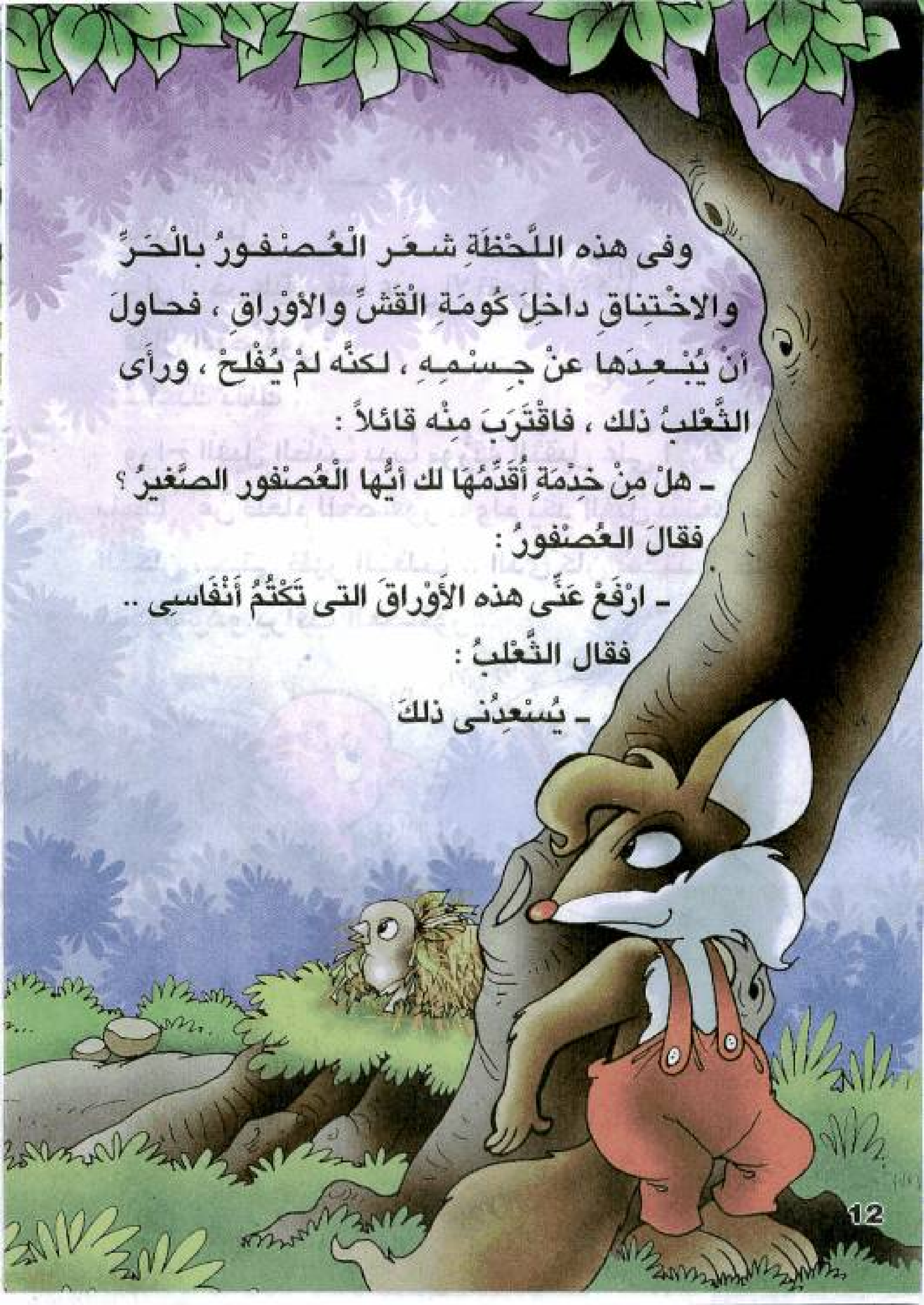
فقالَ الفيلُ :

ـ لنْ أتأخَّرَ عليكَ ، فقطْ عِدْنى ألا تَتَحركَ مِنْ هُنا ، حتى أعودَ

فقالَ الْعُصْفورُ :

ـ أَعِدُك بِذلكَ ..

وراحَ الْفيلُ الطَّيِّبُ يدِبُّ بِوزْنِهِ الثَّقيلِ على الأَرْضِ ، باحِثًا عنْ طعامٍ للْعُصْفور .. ولمْ يكَدِ الفيلُ يَبْتَعدُ عنِ الْمَكانِ ، حتى ظهرَ الثَّعْلَبُ .. الذى كانَ مُخْتَبِئًا خلْفَ شجرةٍ وهو يراقِبُ الْعُصْفورَ ..



وفى هذه اللَّحْظَةِ شعَرَ الْعُصْفورُ بالْحَرِّ والاخْتِناقِ داخِلَ كُومَةِ الْقَشِّ والأوْراقِ ، فحاولَ أنْ يُبْعِدَها عنْ جِسْمِهِ ، لكنَّه لمْ يُفْلِحْ ، ورأى الثَّعْلبُ ذلك ، فاقْتَرَبَ مِنْه قائلاً :

- هلْ مِنْ خِدْمَةٍ أُقَدِّمُهَا لك أيُّها الْعُصْفور الصَّغيرُ ؟

فقالَ العُصْفورُ :

- ارْفَعْ عَنِّى هذه الأَوْراقَ التى تَكْتُمُ أَنْفَاسِى ..

فقال الثَّعْلبُ :

- يُسْعِدُنى ذلكَ



وأخذَ الثَّعْلبُ يرفعُ القَشَّ والأوْراقَ عنِ العُصفور،
فلمَّا نظرَ إليْهِ العُصْفورُ قال لهُ :
- أخافُ أنْ تؤذِيَنِى أوْ تُسَبِّبَ لى ضَرَرًا ..
فضَحِكِ الثَّعْلبُ ، وقال فى مَكْرٍ :
- ما هذَا الْكلامُ الْغريبُ الذى تَقُولُه أيُّها الْعُصْفُورُ
الصَّغيرُ ؟! أنَا لا أُوذِى أحَدًا أبَدًا ..
فقالَ الْعُصْفورُ :
- كيْفَ أُصَدِّقُكَ وأَتحقَّقُ منْ صِدْقِ كلامِكَ ؟!
فقالَ الثعْلبُ فى دَهَاءٍ :
- إنَّنى - كما ترَى - صغيرُ الْحَجْمِ .. أنا أَصْغرُ مِنَ الْفِيلِ
بكثيرٍ ، فكيْفَ أسْتَطيعُ إيذاءَكَ ؟!



فاقْتَنعَ الْعُصْفورُ بكلام الثعْلبِ الْمَغسُول وقالَ :

ـ صَدقْتَ .. كيْف لَمْ أُفكّرْ فى ذلك مِنْ قبْلُ ؟!

وقال الثعْلَبُ فى دَهاءٍ ، وهو يُفكّرُ فى طريقَةٍ لالْتِهام الْعُصْفور :

ـ أعْرفُ طريقةً أفْضَلَ مِنَ ذلك لِتدْفِئتِكَ ، وإنْ شِئْتَ حَملْتُكَ إلى عُشّكَ ، لِتَنْعَمَ برِعايةِ أبَوَيْكَ وإخْوَتِكَ ..

فقالَ الْعُصْفورُ فرِحًا :

ـ هل تعْرِفُ الطَّريقَ إلى عُشّى ؟!



فقال الثعْلبُ كاذِبًا :

- وأعْرِفُ أَبَوَيْكَ وإِخْوَتَكَ ، فهمْ جميعًا أَصْدِقائى ..

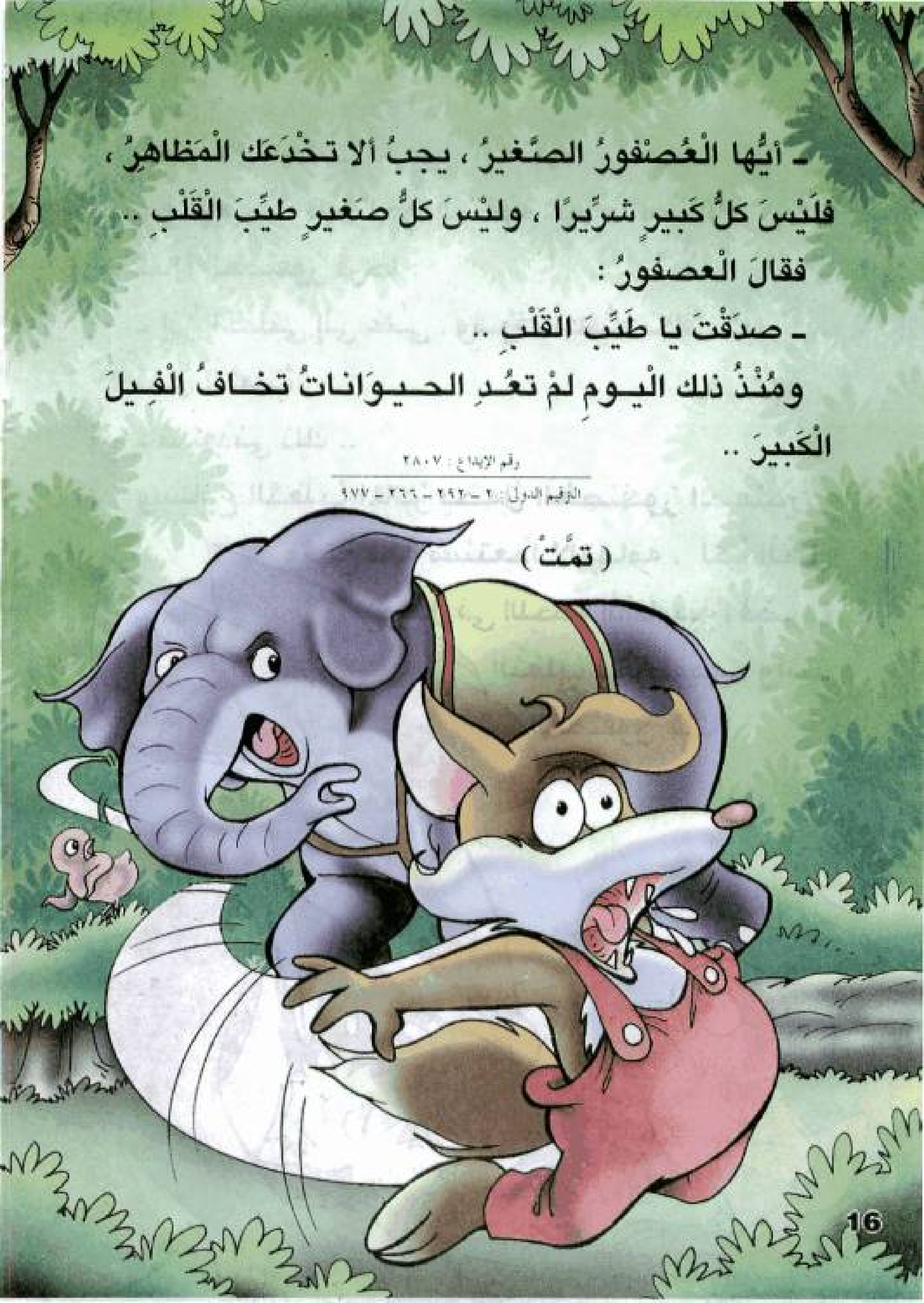
فقالَ الْعُصْفورُ فَرِحًا :

- إذنْ احْمِلْنى إلى عُشِّى ، وسوْفَ أُكافِئُكَ مُكافَأَةً كبيرةً ..

فقالَ الثعْلبُ :

- يُسْعِدُنى ذلك ..

وسارعَ الثعْلَبُ الماكِرُ يحْمِلُ الْعُصْفورَ الْمِسْكينَ ، وفتح فَمَهُ مُسْتعِدًا لالْتِهامِه ، لكنَّ الْفيلَ وصَلَ فى اللَّحْظةِ الْمُناسِبَةِ ، فضربَ الثَّعْلبَ بِخُرْطومِهِ ، وأنْقَذَ الْعُصْفورَ قائلاً :



ـ أيُّها الْعُصْفورُ الصَّغيرُ ، يجبُ ألا تخْدَعَك الْمَظاهِرُ ، فلَيْسَ كلُّ كَبيرٍ شرِّيرًا ، وليْسَ كلُّ صَغيرٍ طيِّبَ الْقَلْبِ ..

فقالَ الْعصفورُ :

ـ صدَقْتَ يا طَيِّبَ الْقَلْبِ ..

ومُنْذُ ذلك الْيومِ لمْ تعُدِ الحيوَاناتُ تخافُ الْفِيلَ الْكَبيرَ ..

رقم الإيداع : ٢٨٠٧

الترقيم الدولي : ٩٧٧ ـ ٢٦٦ ـ ٢٩٢ ـ ٢

(تمَّتْ)